

منهج أبى ذر الخشنى فى تفسير غريب السيرة (*)

للدكتور عبد الكريم خليفة

كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن نسبه وأخباره قبل البعث وبعده ، تكوِّن جزءا مهما مما عنى المحدِّثون بروايته . وما لبث هذا الموضوع المهم أن استقل فى مؤلفات خاصة .... وتوالي المصنفون في هذه السيرة العطرة فى سلاسل متوالية من الطبقات حتى نجد أنفسنا أمام محمد بن إسحاق بن يسار (المتوفى سنة ١٥٠هـ) ، عمدة من أتى بعده فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه .

وقد روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى (المتوفى سنة ٢١٨ هـ) سيرة ابن إسحاق عن زياد ابن عبد الله البَكَّائى (المتوفى سنة١٨٣هـ)، وأصبحت تعرف باسم «سيرة ابن هشام» .

وفى القرن السادس الهجرى تناول الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى المالكى الأندلسى (المتوفى سنة ٥٨١هـ)، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتعقَّب ابن اسحاق وابن هشام ، فيما أخبرا بالتحرير والضبط ، وبالشرح والاستدراك عليهما ، فوضع كتابه الموسوم « الروض الأنف » ، ونهج فى تصنيفه هذا منهجا موسوعيا ، فجاء كتابه هذا كتابا آخر فى السيرة .

وفى هذا القرن نجد الإمام أبا ذر الخشنى أحد أئمة العربية المشهورين فى الأندلس، (المتوفى بمدينة فاس سنة٦٠٤هـ) وهو من معاصرى السهيلى ، يتناول كتاب « سيرة ابن هشام » فيشرح غريبه ، وينهج

(*) ألقي هذا البحث فى الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر يوم الأربعاء ٢٢ من شوال سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١٤ من ابريل سنة ١٩٩٣ م .

في تصنيفه هذا منهجا لغويا يختلف عن منهج السهيلي .

والخشني صاحب شرح غريب سيرة ابن هشام هو مصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الخشني ، من أهل جيان ، يكنى أبا ذر ، ويعرف بابن أبي رُكَب . والأرجح أن نسبة الخشني تعود إلى قبيلة خشين القضاعية [1]

وقد وصفته المصادر بأنه كان أحد الأئمة المتقدمين ضبطا وتقييدا ، وأحد المعتمد عليهم في علم اللغة والآداب ، إماما في العربية ، عالما بكتاب سيبويه . وكان نقّادا للشعر عالما به ، مطلق العنان في معرفة أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها .

ومن أهم مصنفات أبي ذر الخشني كتابه الموسوم : « الإملاء المختصر في شرح غريب السير » وهو في حقيقة الأمر شرح غريب السيرة التي صنفها ابن هشام

ولا شك أن هذا هو الدافع الذي جعل السيوطي ، وهو متأخر،يذكره في كتابه البغية بقوله : « من تصانيفه (أي الخشني) الإملاء على سيرة ابن هشام » [2] .

وضع الخشني مصنفه هذا في عشرين جزءا ، وذكر أنه روى له كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق . ومن الواضح أن هذا المصنف كان ثمرة مجلسه للإقراء والتدريس فقد جاء في مقدمة الكتاب ما يوضح الغاية من وضع هذا الكتاب ، ويحدد السمات الأساسية لهذا المنهج اللغوي الذي نحا به نحوا يخالف منهج معاصره السهيلي في كتابه « الروض الأنف» . يقول أبو ذر الخشني في مقدمته:«وبعد ، فهذا إملاء أمليته من حفظي بلفظي على كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي

---

(١) في ترجمة حياة أبي ذر الخشني ، أنظر : مقدمة كتابنا « الإملاء المختصر في شرح غريب السير » ص ١١ - ٣٦.

(٢) البغية ج ٢ ص ٢٨٨ .

تقدم محمد بن إسحاق إلى جمعها وتلخيصها ، وعنى عبد الملك بن هشام بعده بتهذيبها وتخليصها ، أوان سمع هذا الكتاب مني وقيدت رواياته بطرقها عني ، قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه ، وإيضاح ما التبس تفسيره على حامله وراويه مع اختصار لا يخل وإيجاز يتم به البيان ويستقل ، لم يقصد فيه قصد التأليف فتمد أطنابه ، ولا ينحى به نحو التصنيف فتمهد فصوله وأبوابه ، وإنما هي عجالة الخاطر وغنية الناظر ، ثم عرض على هذا الإملاء بعد كماله فتصفحته ، ورغب في حمله عني ، فبعد لأي ما أذنت في ذلك وأبحته ، والله سبحانه ينفعنا بما قصدنا ، ويجزل ثوابنا على ما ابتغيناه وتوخيناه .. إلخ »[1] .

ففي هذه المقدمة المقتضبة ، حدد الخشني طبيعة وضع هذا العمل اللغوي ، وبين أهدافه وأشار إلى معالم المنهج الذي اتبعه . فهو إملاء على كتاب « سيرة ابن هشام » ، سمع منه وقيدت رواياته بطرقها عنه إبان تصدره للتدريس . فمن المعروف أنه كان يقرىء العربية في أهم مراكز الإشعاع الثقافي والعلمي في ذلك الوقت في الأندلس والمغرب . فتحدثنا الروايات أنه كان يقرىء العربية بمسجد ابن الرمّاك بأشبيلية ، وكذلك بجيّان وغيرها من المدن التي أحبها ، إلى أن استوطن بأخَرة مدينة فاس وأقام بها يقرىء العربية[2].

وتسترعى انتباهنا في هذه المقدمة قضايا عدة تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها . فهو « إملاء من حفظه بلفظه أملاه على طلبته أوانَ سُمع هذا الكتاب منه ، وقيدت رواياته بطرقها عنه وإن كان مع الأسف لم يحدد لنا زمان سماعه منه ولا المكان الذي أملاه فيه .

وأوضح كذلك الهدف الذي توخاه من وضع هذا الكتاب إذ يقول : « قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه » ، فلا بد من أن نحدد مفهوم « الغريب » عند

(١) الإملاء المختصر ، ج١ ص ٧٢

(٢) انظر : تكملة الصلة ، السفر الأول ، ص ٣٨٦

أبي ذر ، وأن نبين منهجه في « شرح ما استبهم من المعاني » ففي ذلك يتجاوز شرح الغريب من الألفاظ إلى الحديث عن « معنى المعنى » ، فيما استبهم من المعاني . . و « فيما التبس تفسيره على حامله وراويه » . . وأن أسلوبه في ذلك كله هو الاختصار الذي لا يُخل والإيجاز الذي يتم به البيان ويستقل . . وإن قوله في وصف منهجه « لم يُقصد فيه قصد التأليف فتمد أطنابه ، ولا ينحى به نحو التصنيف فتمهد فصوله وأبوابه » ، ليَضع على عاتق الدارس البحث عن السمات المعجمية التي تَمَيَّز بها منهج الخشني في شرحه لما استبهم من غريب الكتاب ومعانيه . . وإن كان أجمل القصد من ذلك كله عندما وصف مبادرته هذه بقوله : « وإنما هي عجالة الخاطر وغنية الناظر » .

لقد نهج أبو ذر الخشني في كتابه هذا منهجاً لغوياً خاصاً تظهر فيه كثير من سمات المنهج المعجمي ، وهو في الوقت ذاته يبتعد من حيث الغاية والأسلوب عن كونه كتابا في السيرة .

كان الخشني كما وصفه ابن سعيد من عظماء نحاة الأندلس ، وقد تصدّى لتدريس كتاب سيبويه . ومن مصنفاته الشهيرة : مصنف كبير في شرح سيبويه ، وكتاب « شرح الإيضاح » وكتاب « شرح الجمل » [1] . وكان على حد تعبير ابن الأبار « رئيساً في صناعة العربية ، عالماً بها ، قائماً عليها ، درسها حياته كلها » [2]

وإن لغوياً هذا شأنه ، لابد أن يكون على صلة وثيقة بالمناهج المعجمية العربية - التي تطورت تطوراً واسعاً منذ الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري حتى وفاة أبي ذر الخشني في أوائل القرن السابع الهجري ، ومن أقصى المشرق في «فاراب» وخراسان إلى الأندلس ، مروراً بالعراق والشام ومصر . . ومن أشهر هذه المعجمات : كتاب العين للخليل بن أحمد

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، ج ٢١ ص ٤٧٧ .
(٢) انظر : تكملة الصلة ، السفر الأول ، ص ٣٨٥-٣٨٦ .

(المتوفى سنة ١٧٠هـ) والتهذيب للأزهرى. (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ) . والصحاح للجوهرى .(المتوفى سنة٣٩٣هـ) والمحكم لابن سيده . (المتوفى سنة ٤٥١ هـ) والأمالى لابن برى (المتوفى سنة ٤٥١ هـ) والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) . وإذا تذكرنا أن الخشنى توفى سنة ٦٠٤ هـ ، بدا لنا واضحاً ، مكانة هذه المعجمات في تكوين المنهج المعجمى بصورة عامة ، ومنهج أبى ذر الخشنى فى تفسير غريب السيرة . وربما كان من الأهمية بمكان طرح التساؤل حول مدى العلاقة بين « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير بصورة خاصة وشرح غريب السيرة للخشنى . وإذا استثنينا كتاب « العين » ، نجد أن المعجمات الخمسة الأخرى هى المصادر التى اعتمدها ابن منظورفى القرن الثامن الهجرى ، فى وضع معجمه المشهور « لسان العرب » . ولا شك أن اختيار ابن منظور هذه المعجمات بالذات له دلالات منهجية ولغوية وثقافية واجتماعية لا يتسع المقام لبحثها . ونحن إذا نظرنا إلى جميع هذه المعاجم والمصنفات الأخرى التى عنيت بجمع ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وكذلك الألفاظ الاصطلاحية وشرحها وتفسيرها ، إنما تنحو جميعها منحى معيناً في دراسة معانى الألفاظ .

وربما كانت أبرز ظاهرة تميز المنهج اللغوى الذى سلكه أبو ذر الخشنى فى شرحه غريب السيرة ، حرصه على تفسير الألفاظ بحسب السياق ومن خلال النصوص . فهو يبحث عن استيعاب المعنى من خلال الدلالة التى تحملها اللفظة فى سياق الكلام ، سواء أكان ذلك من خلال سياق المقال أم من خلال سياق المقام . فقد يكون للفظة الواحدة معان متعددة تتناوب في الظهور بحسب سياق الكلام وإيحاءاته وما يضفيه من ظلال على المعنى .

فالخشنى يورد العبارة التى تشتمل على اللفظة التى يريد شرحها ، وغالباً ما يبدأها بكلمة « وقوله » وهذا منهج عام يطّرد فى هذا الكتاب الجليل ، ونمثل على ذلك بما يلى : قوله : « مِنْ ظُلْمَةٍ يعنى من جهة البحر » (ج١ ص ٧٧) .

فالخشنى يرى أن معنى « ظُلْمَة » فى هذا المقام هو « أنه من جهة البحر » وهو بحسب رأيه ما عناه القائل ، ولم يعرض الخشنى المعانى المعجمية لهذه اللفظة.

وكذلك قوله « إنّها حَرْبٌ رَباعيَةٌ . أراد إنها حَرْب فتية . فاستعار لها مِنَ الرَّباعيَة» (ج١ ص ٧٩) .

واستدل الخشنى على هذا المعنى من السياق ، فقال : « كما قال : الحربُ أوَّلَ ما تكون فتيةٌ تسعى بِسيرتها لكلِّ جَهُول » .

وقوله : « وأبدانها جمع بَدَنٍ وهى الدِّرع هنا » .

فكلمة « بدن » تدل على معان مختلفة، ولكن الخشنى يرى أنها فى هذا السياق تعنى .. الدِّرع » وقد نص على ذلك بقوله : « هنا » .

وقوله : « ذات الرؤوس السبعة ، يعنى بالرؤوس هنا القرون التى على رأسها» . (ج١ ص ٨٣) .

فكلمة « الرؤوس » تدل على معان مختلفة ، ولكن الخشنى يرى أنها فى هذا السياق تعنى « القرون » ، وقد درج على استعمال كلمة « هنا » لتدل على معنى خاص فى هذا السياق .

وقوله : « وأسطوان جمعُ أسطوانة وهى السارية ، وأراد بها ها هنا موضع الراهب المرتفع » (ج١ ص ٨٥) .

أورد الخشنى لفظة « أسطوان » فى صيغة الجمع وذكر مفردها ، ووضع معناها اللغوى ، ثم وضع معناها المقصود فى سياق الكلام ، فقال : وأراد بها ها هنا « موضع الراهب المرتفع » .

وقوله : « الوِتْر هنا طلب الثأر » (ج١ ص ٨٨) .

فالخشنى يرى أن « الوِتْر » فى هذا المقام يعنى طلب الثأر .

وقوله « والحاصب هنا الحجارة » (ج١ ص ٩٤) .

ويستعمل الخشنى للإشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام من معنى ألفاظاً مثل : « هنا » و « ها هنا » و « يعنى »

و« يعني به » و « يريد » والأمثلة على ذلك كثيرة ومطردة في جميع أجزاء الكتاب . . . ومنها :

« السافي هنا الذي غطّاه التراب . يقال : سَفَتْ الريحُ التراب (ج١ ص ٩٥) أورد الخشني المعنى السياقي ، ثم ذكر المعنى اللغوي من خلال المثال الذي أورده إذ إن اسم الفاعل من الفعل الثلاثي «سفى» هو « سافي » ، ولكن المعنى السياقي جاء على غير ذلك .

وقد يستعمل الخشني في تفسيره المعنى السياقي كلمة « يعني » كما ذكرنا ، ومثال ذلك : « وبنو الأحرار يعني الفرس » (ج١ ص ٩٩) .

« وَشُذُبُ عِظامُ الأشخاص يعني به القِسي » (ج١ ص ٩٩).

فقد أورد المعنى اللغوي ثم أورد المعنى السياقي الذي يقتضيه المقام .

وقوله : « والزُّمْخَر القَصَبُ اليابس يعني قَصَبَ النُّشّاب » (ج١ ص ٩٩).

وقوله : « الإسبال إرخاء الثوب ، وهنا يريد به الخيلاء والإعجاب » (ج١ ص ٩٩).

فقد شرح الخشني معنى « الإسبال » في اللغة ، وشرح معناها في سياق الكلام، وهذا ما عبَّر عنه في مقدمته في حديثه عن قصده من وضع هذا الشرح بما أسماه « غنية الناظر » .

وقد يستعمل الخشني لفظة « يريد » في الإشارة إلى المعنى السياقي أو المعنى الذي يقتضيه المقام ومن ذلك :

قوله : « وُلاةُ مُلكٍ » يريد « الذين يدبِّرون أمر الناس ويصلحونه » والأمثلة على ذلك كثيرة ومطردة ومنها :

قوله : « وتوالبها جمعُ تَوْلَب . والتَّوْلَبُ ولد الحمار ، فجعله هنا للبغال » (ج١ ص ١٠٠)

وقوله : « يَرِيشُ الله في الدنيا ويَبْري » يريد أن « الله تعالى ينفع ، وهذا الصنم لا ينفع » (ج١ ص ١٠٤)

وقوله : « فلا ورَبِّ الآمنات القُطَّن ، يعنى حمام مكة ، والقُطَّن المقيمات . يقال قَطَن بالمكان إذا أقام فيه » .

فقد أورد الخشنى المعنى وفق سياق الكلام ، ثم أورد المعنى اللغوى ، وهكذا يستمر الخشنى فى هذا المنهج اللغوى فى تفسيره غريب السيرة ، ألفاظا ومعانى .

ولا شك أن الخشنى لم يكن مبتدعاً لهذا المنهج اللغوى ، ولكنه نحا فيه منحًى معجميًا مد ظلاله بصورة رئيسية على القصائد والمقطوعات التى وردت فى السيرة .. وأخذ تفسيرُ الألفاظ بحسب السياق طابعًا علميًا واضحا .

فهذا الراغب الأصفهانى ، وهو من أوائل القرن الخامس الهجرى ، يحدثنا عن العلوم اللفظية ، فيقول : « وذكرت أن أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلومُ اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتَحَصُّلُ معانى مفردات ألفاظِ القرآن ، فى كونه من أوائل المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه . . .

وليس ذلك نافعا فى علم القرآن فقط ، بل هو نافع فى كل علم من علوم الشرع . فألفاظ القرآن هى لُبُّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه . . »[1] .

وقد أشار الزَّركشى فى كتابه البرهان إلى عناية الرَّاغب فى فهم مفردات الألفاظ ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق ، وذلك فى أثناء حديثه عن القِسْم من القرآن الكريم الذى لم يَرِد فى تفسيره النقلُ عمَّن يُعتبر تفسيرُه . . يقول الزركشى :

« . . . . الثانى ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين ، وهو قليل ، وطريق التوصل إلى فهمه ، النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق ، وهذا يعتنى به الراغب كثيرا فى كتاب « المفردات » . فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة فى تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق »[2] . ويستدل الطَّبرسى ، وهو من أكابر علماء الإمامية فى القرن السادس الهجرى (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ) على أن معنى «الدين » فى الآية الكريمة

(١) الراغب الأصفهانى ، ص ٣ .

(٢) الزركشى ، ج٢ ص ١٧٢ .

هو « الجزاء » . وذلك من خلال قوله تعالى « اَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ اَلْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ اَلْحِسَابِ » [1] .

وقوله تعالى : لاَ تَعْتَذِرُوا اَلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » [2] .

يقول الطبرسي : « الدِّين » معناه في الآية الجزاء . قال الشاعر : (واعلم بأنك ما تدين تدان) ، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة ، وقيل الدين الحساب ، وهو المرويُّ عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام وابن عباس ، والدين الطاعة .

قال عمرو بن كلثوم :

وأيام لنا غرّ طوالٍ

عصَيْنا الملْكَ فيها أن ندينا

والدِّين العادة ، قال الشاعر :

تقول إذا درأْتُ لها وَضيني

أهذا دينُه أبداً وديني .

والدُّين القهر والاستعلاء . قال الأعشى :

هو دانَ الرِّبابَ اذ كرهوا الدِّ

ينَ دِراكاً بغَزْوةٍ وصِيالِ

ثم دانت بَعْدُ الرِّبابُ وكانَتْ

كعَذابٍ عقوبةُ الأقوالِ

ويدل على أن المراد الجزاء والحساب ، قوله تعالى : « اليوم تُجْزى كلُّ نفس بما كسبت » . وقوله تعالى : « اليوم إنما تُجزون ما كنتم تعملون » [3] .

وفي تفسيره « النعمة » من سورة الفاتحة يقول الطبرسي : وأصل النعمة المبالغة والزيادة ، يقال دققت الدواء فأنعمتُ دقَّه أي بالغتُ في دقه ، وهذه النعمة وإن لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها .. الخ » [4] .

فقد استدل على معنى هذه اللفظة بسياق الكلام الذي يدل على المعنى المراد .

---

(١) سورة غافر ، آية رقم (١٧) .

(٢) سورة التحريم ، الآية رقم (٧) .

(٣) الطبرسي ، ج١ ص ٣٠ .

(٤) المصدر نفسه .

واستمر المنهج اللغوى ، وفق سياق الكلام يَمُدُّ ظلاله على البحوث اللغوية والفقهية. ويعرض الفقيه الفيلسوف ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ) إلى هذه الظاهرة اللغوية، ويطلق عليها « دليل الخطاب » . ففي حديثه عن أصناف الألفاظ التي تتلقى منها الأحكام من السمع ، يقول ابن رشد : «وأما الطريق الرابع ، فهو أن يُفهَم من إيجاب الحكم لشيء ما ، نفيُ ذلك الحكم عمَّا عدا ذلك الشيء ، أو مِنْ نَفْيِ الحكم عن شيء ما ، إيجابُه لما عدا ذلك الشيءَ الذى نُفِيَ عنه وهو الذى يُعرف « بدليل الخطاب » . وهو أصل مختلف فيه ، مثل قوله عليه الصلاة السلام : « فى سائمة الغنم الزكاة » .

فإنَّ قوماً فهموا منه أن لا زكاة فى غير السائمة . وأما القياس الشرعى فهو إلحاق الحكم الواجب لشيء ما بالشرع، بالشيء المسكوت عنه ، لشَبَهِه بالشيء الذى أوجبَ الشرعُ له ذلك الحكم ، أو لعلة جامعة بينهما »[١] .

وأن ما أسماه ابن رشد « دليل الخطاب» ، إنما هو فهم المعنى المراد من خلال دليل ينبِّه عليه سياق الكلام ، وإذا كان ابن رشد استطاع أن يرسم صورة متكاملة لنظريته حول المعانى المتداولة المتأدية من أصناف الألفاظ[٢] ، فإن معاصره من أبناء بلده ، الإمام الخشنى قد جعلها محور منهجه فى تفسيره غريب السيرة .

واستمر هذا المنهج اللغوى الذى أجمل نظريته ابن رشد وأصَّل أركانه الخشنى فى مجالسه العلمية والتعليمية ، يتطور فى دراسة الدلالات اللفظية ، بل ويستعمل اصطلاحات لغوية تشير بصورة واضحة إلى ما أضيف من جديد فى علم المعجمات .

وفى القرن الثامن الهجرى ، نجد استعمال مصطلحات « سياق الكلام » شائعة ، ولا سيما فى مجال علوم القرآن والحديث . يحدد الزركشى وهو من أبناء

(١) ابن رشد ، ج١ ص ٤ .

(٢) انظر : ابن رشد ، ج١ ص ٣ - ٥ .

القرن الثامن الهجرى (المتوفى سنة ٧٩٤هـ) ، معالم القانون الذى يجب أن يعوّل عليه فى تفسير القرآن الكريم فيقول: «ومعلوم أن تفسيره ، يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض ، لبلاغته ولطف معانيه ، ولهذا لا يُستغنى عن قانون عام يعوّل فى تفسيره عليه ، ويُرجع فى تفسيره إليه ، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه، وظاهره وباطنه . . . »[1]

وفى حديث الزركشى عن فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وبديع صياغته يقول: « إن كان سياق الكلام ترجيةً بسَط وإن كان تخويفا قَبض ، وإن كان وعداً أبهج ، وإن كان وعيداً أزعج . . »

وأورد صاحب كتاب البرهان ، تحت عنوان : « فى ذكر الأمور التى تُعين على المعنى عند الإشكال » قوله : ومما يعين على المعنى عند الإشكال أمور . . الرابع : دلالة السياق ، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام . . وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط فى نظيره وغالط فى مناظرته وانظر إلى قوله تعالى « ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ »[2] ، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير[3] .

ويشيع الحديث عن « السياق » «ودلالة السياق » « وتنوع الدلالة » فى مواضع كثيرة من كتابه « البرهان فى علوم القرآن » ويفصّل القول فى التفسير بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها . . ومما له دلالة كبيرة فى بناء معالم هذه النظرية اللغوية ، أن الزركشى قد تحدث فى كتابه المشار إليه عن « معنى المعنى» إلى جانب المصطلحات اللغوية الأخرى ، ففى حديثه عن التفسير بحسب تراكيب الألفاظ ، يقول : « وأما بحسب التراكيب ، فمن وجوه أربعة : الأول : باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله ، من حيث إنها مؤدية

(١) الزركشي - ج ١ ص١٥ .
(٢) سورة الدخان الآية (٤٩) .
(٣) الزركشي - ج٢ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

أصل المعنى ، وهو ما دلّ عليه المركب بحسب الوضع وذلك متعلق بعلم النحو .

الثانى : باعتبار كيفية التركيب من جهة « إفادته معنى المعنى » أعنى لازمَ أصل المعنى الذى يختلف باختلاف مقتضى الحال فى تراكيب البلغاء وهو الذى يتكفل بإبراز محاسنه علم المعانى [1] .

وكذلك نجده يتحدث فى هذا الباب عن « طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدّلالة وحقائقها ومراتبها .... » ولا شك أن الحديث عن الدلالة يعنى الحديث عن العلاقة بين « الدال » و «المدلول» وقد عنى الخشنى فى منهجه اللغوى الذى اتخذه فى تفسير غريب السيرة إلى جانب الدلالة السياقية بالدلالة النحوية والدلالة الاشتقاقية وكذلك الفروق الدلالية للمشترك اللفظى وللفظة الواحدة التى إذا تغيرت إحدى حركات بنيتها ، تغيّرت دلالتها . .

ويبدو أن الدراسات حول المعنى المراد من خلال سياق الكلام ، قد اتسع نطاقها فى هذا القرن ، وهى فى كليتها تدور حول علاقة المعجمية بعلم الحديث وأصول الفقه ، وقد أجمل الشاطبى (المتوفى سنة ٧٩٠ هـ) وهو من معاصرى الزركشى ، الحديث عن هذا المنهج اللغوى فى فهم المعانى ، فقال فى كتابه (الموافقات فى أصول الشريعة) : « ... أن يكون الاعتناء بالمعانى المبثوثة فى الخطاب هو المقصود الأعظم ، بناء على أن العرب ، إنما كانت عنايتها بالمعانى ، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها ، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية . فاللفظ هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد ، والمعنى هو المقصود ، ولا أيضا كل المعانى ، فإن المعنى الإفرادى قد لا يُعبأُ به إذا كان المعنى التركيبى مفهوما دونه » [2] .

ويوضح الشاطبى هذه العلاقة السياقية بين الدال والمدلول فيؤكد البحث عن المعنى المقصود الذى يقوم عليه جوهر الخطاب فيقول : « فاللازم الاعتناء بفهم معنى

(١) الزركشى ، ج٢ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٢) الشاطبى ، ج٢ ص ٨٧

الخطاب لأنه المقصود والمراد ، وعليه ينبني الخطاب ابتداءً وكثيرا ما يُغفل هذا النظر بالنسبة للكتاب والسنة فتُلْتَمَسُ غرائبه ومعانيه على غير الوجه الذي ينبغي ، فتَسْتَبِهمُ على الملتمس وتَسْتَعْجِمُ على من لم يفهم مقاصد العرب [١] .

لقد بينا فيما سبق كيف أن الخشني يحرص في منهجه المعجمي على إيراد معنى اللفظة حسب سياق الكلام ، سواء أكان ذلك وفق مقتضى المقال أم وفق مقتضى المقام .

وفي مجال « الدلالة النحوية » نورد بعض الأمثلة التالية :

يقول الخشني : وقول ابن هشام : الأبابيل الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد ، قال النحويون : واحدها في القياس « إبِّيل و إبُّول » [٢]

وقوله : ومطموم من قولهم طمَّ الماءُ وطَمّاً إذا علا وارتفع وقول الراجز :

فَصُيِّرُوا مثل كعصفٍ مأكول .

قال : ولهذا البيت تفسير في النحو ، تفسيره ، أن الكاف زائدة لكونها قد تكون حرفاً ، و « مثل » لا تكون إلا اسماً ، فزيادة الحرف أولى من زيادة الاسم والمراد لزيادتها التأكيد [٣] .

وقوله : « لم يؤوبوا أرضهم » أي لم يرجعوا إلى أرضهم يقال آب إلى كذا أي رَجَع إليه ، وكان وجه الكلام أن يقول : إلى أرضهم ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل [٤] .

وقد أولى الخشني الدلالة الاشتقاقية اهتماما فقد يستعرض وجوه الاشتقاق ثم يعطي المشهور منها والشائع مثال ذلك قوله:

« وما بعد ذلك - أي بعد معدُّ بن عدنان - فهي أسماء أعجمية منها ما يوافق العربي في الاشتقاق والتصريف، ومنها ما يخالفه » ... ولؤى تصغير لأي وهو الثور الوحشي ، وقد يكون

(١) الشاطبي ، ج٢ ص ٨٨ .

(٣) انظر : الخشني ج١ ص ٩١ .

(٢) الخشني ، ج١ ص ٩٠ .

(٤) الخشني ، ج١ ص ٩٣ .

تصغير لأْىٌ وهو البطء، والمشهور فيه الهمز.[1]

وقد يستعرض وجوه الاختلاف في اللفظ، ويقف عند الدَّلالة الصرفية، مثال ذلك قوله: وإلياس مختلف فيه، فمنهم من يقول فيه: اليَأس موافق للذى هو خلاف الرَّجاء، وهو مصدر يَئِسَ. ويستدل على ذلك بقول رؤبة بن العجاج:

أُمَّهتى خِنْدف والْيَاسُ أبى.

ويقول ابن هَرْمة:

أصيب بداءٍ يأسٍ فهو مُودى - أى هالك.

وبعضهم يقول فيه: إلياسُ بكسر الهمزة[2].

وقوله: إلحاف: منهم من يكسر همزته ويقطعها، كأنه سمى بمصدر ألحف فى المسألة إذا بالغ فيها، ومن قوله تعالى: لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا...[3] ومنهم من يجعل الألف واللام فيه للتعريف، بمنزلة اسم الفاعل من: حَفِىَ يَحْفَى[4].

وقوله: القُلَّيس هو اسم الكنيسة التى بُنى، وهو مشتق من قَلَسَ الشىءُ، إذا ارتفع[5].

وقوله: الأكَارِيشُ الجماعات من الناس، وهو جمع أكْراش، وآكْرَاشٌ جمع كِرْشٍ والكِرْشُ الجماعة من الناس، فهو على هذا جمع الجمع..[6].

وقوله: كَورْدِ القَطَا، الوِرْدُ ها هنا الواردة للماء، سميت باسم المصدر[7].

ويقف الخشنىُ أيضا عند اللفظة الواحدة التى إذا تغيرت إحدى حركات بنيتها تغيرت دلالتها،، مثال ذلك قوله:

الحِلال بكسر الحاء، جمع حِلَّة، وهى جماعة البيوت، والحَلال بفتح الحاء خلاف الحرام[8].

(1) الخشنى، ج1 ص 73.
(2) الخشنى، ج1 ص 73 - 74.
(3) سورة البقرة، الآية: 273.
(4) الخشنى، ج1 ص 75.
(5) الخشنى، ج1 ص 87.
(6) الخشنى ج1 ص 107.
(7) الخشنى، ج1 ص 121.
(8) الخشنى، ج1 ص 88.

وقولـه : الأدماء مـن الظبـاء الـسُّمْر الظهـور البيـض البـطن والأُدْمَة فـى الإبل البياض الخالص ، والأدُمة فى الآدميين أن يميل اللون إلى الـسُّمْرة قليلا . »[1] .

وقوله : وَمَنْ روى عِقْد ذات نطاف ، بكـر العين ، فالنِّطاف جمع نُطْفَة ، وهى القُرْط الـذى يُعلّق مـن الأذن ، ومن رواه عَقْد بفتح العَين ، فالنِّطاف جمعُ نُطفة من الماء ، وهو القليل الصافى منه[2] .

وقوله : العَذْق، بفتح العين النخلةُ ، وبكـسر العـين الكِبَاسـة وهــو عُنقــود النخلة[3] .

ويقف الخشنى عنـد اللفظة الواحدة ، التى إذا تغـير أحد حروف بنيتـها فى وجه من وجوه الروايـات تغيرت دلالتهـا، مثال ذلك قوله :

« يقال : أَخفَرْتُ الرَّجل ، إذا نقضـت عهده ، وخَفَرْتُه ، إذا أجَرْته[4] .

وقولـه : « كالإبل الظِّـراب ، يروى بالظـاء معجمة ، وبالـطاء غير معـجمة . فمن رواه بالـظاء معجمة فهـو جمعُ ظَرِب وهو الجُبَـيل الصغـير ، شبَّه الإبـل بها ، ومن رواه بالـطاء المهمـلة فهى الإبـل التى حنـت إلى مواطـنها واشـتاقت . يـقال : طَرِبَت الإبل إذا حنَّت[5]

وقولـه : والفَجَـرُ بالجـيم العـطاء ، وبالخاء المـعجمة الـفَخرُ[6] ، وقـولـه : «وأبْلَجُ بالجـيم مشهور ، وبالخاء مـتكِّبر . والزمن الجرود بالجيم ، زمن القحط ، لأنه يجرد الأرض من النبات ، ومن رواه بالخاء المهملـة ، فمعناه الذى يمتـنع قَطْره ، لأن حَرَدَ قد تـكون بمعنـى قَطَعَ ومَنَـع . ومنه قولهم : حاردت النـاقة إذا منعت درها أى لبنها[7] .

ويُعنى الخـشنى فى تفسيـره الغريب ، بإيراد الرِّوايـات المختلفة ، وقد يـوثِّق هذه الروايات فيذكر المصدر ، وكثيراً ما يـسكت

---

(1) الخشنى . ج١ ص ٩١ .
(2) الخشنى . ج١ ص ١٤٢ .
(3) الخشنى . ج١ ص ١٥٢ .
(4) الخشنى . ج١ ص ٨٩ .
(5) الخشنى . ج١ ص ١٢٣ .
(6) الخشنى . ج١ ص ١٢٨ .
(7) الخشنى . ج١ ص ١٣٦ .

عن المصدر ، ويصوّب ما يراه ، معتمداً رأيه . وهو الحجة فى اللغة ، كما تجمع المصادر التى تحدثت عنه ، مثال ذلك قوله :

«وقوله» فى ولد إسماعيل: وَطْيماء ، كذا وقع هنا بالطاء المهملة مكسورةً ومفتوحةً . وقيده الدارَ قُطنى : وَظْمياء بالظاء المعجمة ممدوداً وتقديم الميم » [١] .

فقد أورد الخشنى الروايتين وضبطهما ، وأورد مصادره فى رواية أخرى . وقوله «مُضَاض .. ويقال : مِضَاض بكسر الميم أيضاً » [٢] .

وقوله « أَسْلُمُ » هنا بضم اللام وفتحها ، وأسلم بضم اللام هو الصواب » [٣] .

وقوله : « وجُروب حجارة سود كذا قال الوقَّشِيُّ ، وهى روايته . ومن رواه حُروث فهو جمع حَرْث [٤] .

وقوله بعد أن عرض الروايات المختلفة لكلمة « اللثَّق » و« اللَّبَق » وما يترتب على ذلك من اختلاف فى المعنى مبدياً رأيه على عادته فيقول : واللَّثَق بالثاء المثلثة هو الصواب هنا [٥] .

وقوله : « وَتَقَمَ عَظْم ، ويروى قَقِمَ بكسر القاف ، والصواب فتحها [٦] .

وقوله : ووقع فى الرِّواية فُظِعَ بضم الفاء وفتحها . قال الشيخ الفقيه أبو ذر رضى الله عنه : والصواب فَظِعَ بفتحها على وزن عَلِمَ [٧] .

وقوله : « ومشاجبها جمع مِشْجَب ، وهو عودٌ تعلق عليه الثياب ، ورواية الخشنى مَساحِبُها . وقال : هى القلائد فى العنق من قَرَنْفُل أو غيره [٨] .

وقوله « والمِربَاعُ الذى رعى فى الربيع . ورواية الخشنى المِرْياع بالياء المنقوطة باثنتين من أسفل ، وقال : هو مِفْعال من راع إلى كذا يَرِيعُ أى رَجَعَ [٩] .

(١) الخشنى ، ج١ ص ٧٤ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الخشنى ، ج١ ص ٧٥ .
(٤) الخشنى ، ج١ ص ٨٥ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) الخشنى ، ج١ ص ٩٨ .
(٧) الخشنى ، ج١ ص ٧٦ - ٧٧ .
(٨) الخشنى ، ج١ ص ١٠٣ .
(٩) الخشنى ، ج١ ص ١٠٦ .

وقوله :

« وقـول الشـاعر فـي بيته : حُـولُ الفصـائل . أراد جمعَ فُصْـلان ، وفُصْلان جمع فَصِيـل ، وهو الصغيـر من الإبل . والصواب الوصائل ، وهو جمع وَصيلة .

وقد فسَّرها ابن إسحاق وابن هشام [1] .

وقوله :

الحَلْـيُ اسم موضـع فيه مـاء ، وقال بعضـهم : هو اسم نبات . وهـذا غلط ، لأن اسم النـبات هو الحَلِـيُّ بتشـديـد الياء وبكسر اللام [2] .

وقد يذكر الخشني مختلف الروايات ، ويوثق بعضها ويصوبـها مثل ذلك قـوله :

« وَخِذامةُ ابنةُ الحـارث ، هكذا روى بخاء معـجمة مكـسورة وذال معجـمة ، وروى أيضاً وَجُـدامة بجيم مضمومة ودال مهملة ، وحُذافة بحاء مهملة وذال معجمة وفاء . . قيدها أبو عمر النَّحْوِيُّ وهو الصواب [3]

وقولـه : الطَّـيُّ ، ويقـال الطَّـوَى ، وكلٌ بمعـنى واحد ، فليـس كذلك ، لأن الطَّيَّ بمـعنى الحجارة الـتى طُوى بها الـبئر سمـيت بالمصـــدر ، والـطَّوِىَ هى البـئر نفسـها [4] .

وقوله : « أُحْـبِيها لـه بالفقـير ، أى بالحفر وبالغـرس ، يقال فَقَرْتُ الأرض إذا حَفَرْتَها ، ومنه سـميـت البئر فقيراً . وقال الوقشـى : الصوابُ هنا بالتفـقير ، وأراد الوقشى هنا المصدر وهو الأحسن [5] .

وعنى الخشـنى فى منهجه فى تـفسير الغريب بالقراءات القرآنية ولغات العرب ، مثال ذلك قوله :

« يقال : أَنَى الشىءُ أَنِيَ وآنَ ، ثلاثُ لغات بمعنى واحد فى معنى حان [6] .

وقوله : « هَلُمُّوا إلىّ ثوباً ، هى كلمة سمى بها الفعل ، وفيها لغتان : فلغةُ أهل الحجـــاز أن لا يُثَنُّوها ولا يجمـــعوها

(١) الخشنى ، ج١ ص ١٠٦ .

(٢) الخشنى ، ج١ ص ١٢٢ .

(٣) الخشنى ، ج١ ص ١٣٣ .

(٤) الخشنى ، ج١ ص ١٣٠ .

(٥) الخشنى ، ج١ ص ١٥٣ .

(٦) الخشنى ج١ ص ١٠١ .

ولا يؤنثوها . ولغة غيرهم أن يُثَنُّوها ويجمعوها ويؤنثوها . وجاء القرآن على لغة الحجاز . قال الله عز وجل : «والْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا » [1] .

ومعناها أقبلوا إلينا [2] .

وقوله : ما وَدَّعه وما قلاه . وفي رواية الخشني وَدَعه بالتخفيف ، وهي لغةٌ شاذة . وقد روى في بعض القراءات : ما وَدَعَكَ ربُّك بالتخفيف ، وما قلى أي ما أبغضك . تقول : قَلَيْتُ الرجل إذا أبغضتُه [3] .

وإلى جانب عنايته بلغات العرب ، عُني بالبحث في أصول الألفاظ الدخيلة مثال ذلك قوله : « لَبَابِ لَبَابِ . قد فسَّره ابنُ إسحاق ، ويقال : لَبَاب كلمة فارسية معناها القَفَلَ القَفَلَ أي الرُّجوعَ الرُّجوعَ » [4] .

وقوله : اسْتَرْطبان ، أن معناها أخَذَتْه النَّارُ بالفارسية [5] .

وقوله : « والمرازبة » وزراء الفرس واحدهم مَرْزُبان [6] .

وقوله : « والأَسْبَذُ » بالفارسية الفَرَسُ [7] .

وقوله : « السُّبذ » بلغة فارس شعاع الشمس [8] .

ويحاول الخشني أن يتتبع الألفاظ الحميرية التي دخلت العربية في سيرة ابن هشام ، مثال ذلك :

قوله : الأَمْضُ الشكُّ بلغة حمير [9] .

وقوله : والشناتر الاصابع بلغة حمير ، واحدها شُنْتُرٌ . . [10] .

وقوله : وَتَحْمَاسُ بلغة حمير الرأس [11] .

ونجده يعني بتحديد الألفاظ التي أصبحت لها دلالات اصطلاحية ، سواء

---

(1) سورة الأحزاب الآية : 18 .
(2) الخشني ، ج1 ص 147 .
(3) الخشني ، ج1 ص 160 .
(4) الخشني ، ج1 ص 82 .
(5) الخشني ، ج1 ص 83 .
(6) الخشني ، ج1 ص 97 .
(7) الخشني ، ج1 ص 122 .
(8) الخشني ، ج1 ص 192 .
(9) الخشني ، ج1 ، ص 78 .
(10) الخشني ، ج1 ص 83 .
(11) المصدر نفسه .

أكانت ألفاظاً دخيلة أم منقولة عن أصل عربي ، مثال ذلك : قوله : الدُّهقان شيخ القرية ، العارف بالفلاحة وما يَصْلُحُ بالأرض من الشجر ، يُلجأ إليه في معرفة ذلك [1]

وقوله : « قَطَنُ النَّار : هو خادمها الذي يخدمها ، ويمنعها من أن تطفأ لتعظيمهم إياها [2]

وقوله : الأُسْقُفُ في الكنيسة هو عالم النَّصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال : أُسْقُفٌ بالتخفيف أيضا [3] .

وقوله : أصل النَّاموس هو صاحب سر الرجل في خيره وشره ، فعبِّر عن الملك الذي جاءه بالوحي به (لقد جاءه الناموس) [4]

وقوله : « والسجع أن يكون الكلام المنثور له نهايات كنهايات الشعر .

وقوله : « الشَّمامِسَة عُبَّاد الروم [5] .

وقوله : والأبناء القبائل المختلطة [6] .

وقوله : والفَيْجُ الذي يسير للسلطان بالكتب على رجليه [7] .

ويبحث الخشني في كثير من الأحيان في أصول معاني الألفاظ التي يقوم بشرحها مثال ذلك :

قوله : السائح الذاهب على وجه الأرض للعبادة ، لا يستقر بمكان ، أُخِذَ من الماء السائح وهو الذاهب على وجه الأرض [8] .

وقوله : التِّهِمَةُ الواسعة المتطامنة ، ولذلك قيل لما انخفض من أرض الحجاز تِهامة [9] .

وقوله : والقُروم سادات الناس ، وأصله الفحول من الإبل [10] .

---

(1) الخشني ، ج١ ص ١٥٢ .
(2) المصدر نفسه .
(3) المصدر نفسه .
(4) الخشني ، ج١ ص ١٥٩ .
(5) الخشني ، ج١ ص ١٨٥ .
(6) الخشني ، ج١ ص ١٨٦ .
(7) الخشني ، ج١ ص ١٠٠ .
(8) الخشني ، ج١ ص ٨٣ .
(9) الخشني ، ج١ ، ص ٧٧ .
(10) الخشني ، ج١ ص ١٢٨ .

وقولـه : والكَـهَامُ الذى يـقصِّـر فى أموره ، مأخوذ من الـسـيف الكهام ، وهو الذى لا يقطع [١] .

وقوله : « والـهُيَّامَةُ الـكثير الـهُيام » وأصل الهُيام داءٌ يصيب الأبل فتشتد حرارة أجوافـها فلا تَـرْوى من الماء إذا شـربت ، ومنـه قوله تـعالى : « فَشَـارِبُونَ شُـرْبَ الْهِيمِ » [٢] .

ويستقى الخشنى شـواهده التى يستدل بها على صحة المعلومة اللغوية التى يوردها من آيات القـرآن الكريم ومن أشعـار عصر الاحتجاج ، ومن الأمثال ، وأقوال «بعض البلغاء » عـلى حد تعبيره ، . وقد يـكتفى بإيـراد شطـر الـبيـت الذى تضـمـن وجـه الشاهد .. وغـالبا ما يحرص علـى نسبة الشـاهد إلى قائله .

وكان الخشنى فى غالب الأحيان يذكر مصـادره ، لاسيمـا عندما تـكون هنـالك روايات مختـلفة ، فتراه يذكـر إلى جانب ابن إسحاق وابن هشام ، كراع النمل وابن حبيـب وصاحبَ كتاب « العـين » ، وأبا عبـيد البكـرى وأبا علـى الغَـسَّانـى والدارَ قُطنى وأبا عـبيدة مَعْمرِ بن المثـنى والسائبَ الكِـنْدىَّ وعـبد الـغنـى الحافـظ المصـرى والوَقَّـشى .. وفى كثيـر من الأحيان يَسْنِدُ إلى مجهولين فيقول : « قالوا [٣] .. وقال بعض الـلغويـين .. وقال بعضـهـم .. » دون أن يعين القائل .

ومما يجـدر ملاحـظته أن الخـشنـى لم يذكر مـن بين أصحـاب المعجمـات الذين سبقوه سوى صـاحـب كـتاب العـين .. واكتـفى بالإشارة إلـيهم بعـبارات مبهـمة مثل: قالوا ، وقال بعض اللغويين ، وقال بـعضـهـم .. إلـخ .. وربما كـانت هـذه الظاهرة تستحق أن تدرس ....

لقد اهتم الخشنـى بشرح غريب أبيات الشعر الواردة فى سـيرة ابن هشام ، وأفرد

(١) الخشنى ، ج١ ص ١٣٧ .

(٢) سورة الواقعة ، الآية : ٥٥ وفى النص أنظر : الخشنى ج١ ص ١٥٠ .

(٣) انظر : الخشنى ، ج١ ص ٨٠ .

لها عناوين خاصة ، ولكنه في الواقع لم يقتصر على غريب الشعر ، ولكنه تجاوز ذلك إلى شرح غريب ما ورد في حوادث السيرة . وربما كان من الضروري أن نتوقف عند مفهوم كلمة « غريب » عند الخشني . وإن الدارس لكتابه (شرح غريب السيرة) ، يخرج بأن لكلمة «غريب» مفهوماً خاصاً عنده ، ونرى أنه يعني بالغريب جميع الألفاظ التي يصعب فهمها على الشادين والتلامذة المبتدئين .. فمن الطبيعي أن يضم مجلسه للإقراء والتدريس تلاميذ من أجناس مختلفة من العرب والأعاجم التي يتكون منها المجتمع الإسلامي .. ولذا نراه يشرح أحياناً ألفاظاً عادية بمعناها العام ، كأن يشرح لفظة «أجل » بمعنى « نعم » .. إلخ .

ويسلك أبو ذر في منهجه هذا منهجاً تعليمياً ، وربما أعاد شرح اللفظة بعينها ، غير مرة ، فهو يملي كتابه هذا على تلاميذه من « حفظه بلفظه » ، قاصداً شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه .

ويقودنا هذا البحث إلى القول إن هذا السفر الجليل الذي وضعه أبو ذر الخشني لطلابه يعتبر إضافة جديدة في علم وضع المعجمات ، وكذلك فيما يتعلق بالبحث في المترادف والمشترَك من الألفاظ وقد جعل من فهم المعاني من « سياق الكلام » محوراً للمنهج الذي تناول به تفسير غريب السيرة . ولا شك أن هذا المنهج اللغوي يجد جذوره التاريخية في المصنفات التي سبقته وفيما أسماه الجاحظ قبل ذلك بعدة قرون « لكل مقام مقال »[1]

عبد الكريم خليفة

عضو المجمع من الأردن

★ ★ ★

(١) انظر : الحيوان ، ج٣ ص٤٣ ، البيان والتبين ، ج١ ص ١٤٥ .

المصادر والمراجع

١ - إبراهيم بن مراد ، دراسات فى المعجم العربى ، بيروت ، سنة ١٩٨٧ م .

٢ - ابن الأبار - أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى التكملة لكتاب الصلة ، السفر الأول ، مجريط ، سنة ١٨٨٦ م .

٣ - ابن رشد - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج١-٢ ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م .

٤ - الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، ج١ - ٧ ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م .

٥ - الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج١-٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .

٦ - الخشنى - أبو ذر مصعب بن أبى بكر محمد بن مسعود الخشنى ، (المتوفى سنة ٦٠٤ هـ) ، الإملاء المختصر فى شرح غريب السير ، ج١-٣ ، تحقيق ودراسة د. عبد الكريم خليفة ، عمان ، ١٩٩٠ م .

٧ - الذهبى - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج١ -٢٥ ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٨ - الراغب الأصفهانى - أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل ، (كان فى أوائل المائة الخامسة) ، المفردات فى غريب القرآن ، مصر .

٩ - الزركشى - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، البرهان فى علوم القرآن ، ج ١ - ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت، سنة ١٩٧٢ م .

١٠ - السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) ، الإتقان فى علوم القرآن، ج١- ٢ .

١١ - السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ج١ - ٢ ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م .

١٢ - الشاطبى- أبو إسحق إبراهيم ابن موسى اللخمى الغرناطى المالكى (المتوفى سنة ٩٧٠ هـ) ، الموافقات فى أصول الشريعة ، ج١-٤ مصر .

١٣- الطبرسى - أبو على الفضل بن الحسين ، (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) ، مجمع البيان فى تفسير القرآن، ج١-١٠ ، صيدا ، سنة ١٣٣٣ هـ .

١٤ - محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت، سنة ١٩٦٨م .

